سرديات الفاجعة

صدى سقوط بغداد سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م على السرديات التاريخية في العالم الإسلامي

د. يوسف راشد رشدان

دكتوراه التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم جامعة المنيا

ملخص:

اعتبر عام ٦٥٦هـ/**١٢٥٨م** نقطة سوداء وعلامة فاصلة في تاريخ المسلمين؛ فهو العام الذي سقطت فيه الخلافة العباسية أمام جحافل المغول الذين دمروا معالم الخلافة حتى انتهى الأمر بإسقاط الخلافة، بل وصل الأمر إلى قتل الخليفة العباسى نفسه. لقد أحدث المغول مذابح في بغداد بعد قتل الخليفة المستعصم ودمروا كل مراكز الحضارة في بغداد وجعلوا من مكتباتها وخاصة مكتبة بيت الحكمة جسرا على نهر دجلة. والجدير بالذكر أن سقوط بغداد كان كارثة على العالم الإسلامي إذ سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون من أكبر الوقائع التي حدثت في التاريخ وكان له أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعا، وقد أشار بالتفصيل الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد إلى نتائج سقوط بغداد – رمز وحدة المسلمين- والقضاء على مكانتها الدينية المتميزة وسقوطها. عهد جديد سيطر فيه المغول وأسسوا دولة لهم في إيران عرفت باسم الإيلخانيين ثم القضاء على أهم مراكز العلوم والآداب والفنون والعديد من النتائج لهذا السقوط.

ويهدف البحث إلى رصد أثر ذلك السقوط في النصوص التاريخية، ورصد الانفعال والتأثر الدرامي ووجع سقوط حاضرة المسلمين وتدميرها وما اقترن به من كتابات كانت شاهدة على ضياع حاضرة العالم الإسلامي تحت أقدام المغول.

الكلمات المفتاحية:

سقوط بغداد، السرديات التاريخية، الدولة العباسية، مكتبة بيت الحكمة.

Abstract:

The year of the fall of Baghdad was a black point and a watershed in the history of Muslims, as it was the year in which the Abbasid caliphate fell in front of the hordes of Mongols who destroyed the landmarks of the caliphate until the matter ended with the overthrow of the caliphate, and even the matter came to the killing of the Abbasid caliph himself. They destroyed all the centers of civilization in Baghdad and made its libraries, especially the Library of the House of Wisdom, a bridge over the Tigris River. in the hearts of all Muslims.

Dr. Fouad Abd al-Muti al-Sayyad referred in detail to the results of the fall of Baghdad, which is a symbol of the unity of Muslims and space over its distinguished religious status and its fall, i.e., to a new era in which the Mongols took control and established a state for them in Iran known as the Ilkhanids, then the elimination of the most important centers of science, literature and the arts, and many of the results of this fall.

The researcher aims from this study to monitor the impact of that fall on the selected texts collected by the researcher, to monitor this emotion, the dramatic impact, the pain and pain of the fall and destruction of the Muslim metropolis, and the associated writings that witnessed the loss of the metropolis of the Islamic world under the feet of the Mongol.

key words:

The Fall of Baghdad, Historical Narratives, The Abbasid State, bayt alhikma Library.

تمهيد:

اعتبر عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م نقطة سوداء وعلامة فاصلة في تاريخ المسلمين، فهو العام الذي سقطت فيه الخلافة العباسية أمام جحافل المغول الذين دمروا معالم الخلافة حتى انتهى الأمر بإسقاط الخلافة بل ووصل الأمر بقتل الخليفة العباسى نفسه، وقد أحدث المغول مذابح في بغداد بعد قتل الخليفة المستعصم ودمروا كل مراكز الحضارة في بغداد وجعلوا من مكتباتها وخاصة مكتبة بيت الحكمة جسرا على نهر دجلة والجدير بالذكر أن سقوط بغداد كان كارثة على العالم الإسلامي إذا سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية التي استمرت أكثر من خمسة قرون من أكبر الوقائع التي حدثت في التاريخ وكان له أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعا وقد أشار بالتفصيل الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد بنتائج سقوط بغداد وهى رمز بوحدة المسلمين والفضاء على مكانتها الدينية المتميزة وسقوطها أي إلى عهد جديد سيطر فيه المغول وأسسوا دولة لهم في إيران عرفت باسم الايلخانيين ثم القضاء على أهم مراكز العلوم والآداب والفنون والعديد من النتائج لهذا السقوط[١].

إن ما يتناوله الباحث في هذه الدراسة ليس تأريخاً لأحداث سقوط بغداد ولكن ما نهدف له هنا هو رصد أثر ذلك السقوط على النصوص المنتقاة التي جمعها الباحث، رصد هذا الانفعال والتأثر الدرامي ووجع وألم سقوط وتدمير حاضرة المسلمين وهو ما يعلل عنوان الدراسة أننا أمام " سرديات الفاجعة " وبالطبع فهي الفاجعة الأكبر وما اقترن بها من سرديات كانت شاهدة على ضياع حاضرة العالم الإسلامي تحت أقدام المغول [٢].

عام الفاجعة:

تتناول هذه السرديات عام الفاجعة، وكما أرخت النصوص لتلك الفترة "استهلت هذه السنة، وفيها فتن ومصائب، وأعظمها قتل الخليفة المستعصم بالله، وانقراض الخلافة العباسية من بغداد، واستيلاء هلاون على بغداد، وفساد التتار في البلاد، ووقوع الحرب بين بني أيوب وبين المماليك البحرية، وبين الشامية والمصرية، ذكر أخذ هلاون بن طلوخان بن جنكز خان مدينة بغداد وقتله الخليفة المستعصم بالله"(٣).

وحسب سرديات أخرى أرخت للفاجعة "لقد تهيئ هولاكو لقصد العراق، وقصد هولاكو جموع المغول إلى بغداد من جهة البر الشرقي عن وادي دجلة، وهو البر الذي فيه مدينة بغداد، وأدر الخلافة، وضرب سوراً على عسكره وأحاط بغداد"(٤).

سرديات القتل والتدمير في بغداد:

أسهبت النصوص في السرد والتأريخ لوقائع القتل والتدمير التي أوقعها المغول في بغداد، كما أسهبت أيضاً في رصد الفظائع التي ارتكبوها بدم بارد، بدءاً من التهديد الذي نقله الهمداني "فسوف أنزلك من الفلك الدوار، وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد، ولن أدع حياً في مملكتك ...، وسأجعل مدينتك وإقليمك وأراضيك طعمة للنار، فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك، فاستمع لنصحى بمسمع العقل والذكاء وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله"(٥).

وتأسيساً على هذه النصوص يقول ابن كثير "فيها أي سنة٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م أخذت المغول بغداد وقتلوا أكثر أهلها (٦)". ويستمر في عرض ما نقله من وقائع "سُترت بغداد ونصبت فيها المجانيق، والعرادات، وغيرها من آلات الممانعة

التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا، كما ورد في الأثر: لن يغني حذر عن قدر]. وكما قال تعالى:﴿**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة نوح آية:٤]، وقال تعالى:﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾[سورة الرعد آية:١١، وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب(٧)، وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً(٨).

وأسهم السيوطي المؤرخ في نقل هذه النصوص فكما رصد ذلك بقوله "ثم مد الجسر، وبذل السيف في بغداد، واستمر القتال فيها نحو أربعين يوما، فبلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة، ولم يسلم إلا من اختفي في بئر أو قناة (٩)، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما وقتل الخليفة المستعصم بالله يوم الأربعاء عشر صفر وقتل أولاده الأكبر والأصغر مبارك، وأسر أخوته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم، وقتل أستاذ دار الخلافة محي الدين وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد(١٠).

ووفق سرديات أخرى فقد "اندفع المغول داخل المدينة دون أية مقاومة تذكر، ووضعوا السيف في سكانها، وقاموا بإحراق الأخضر، واليابس فيها، واستولوا على ما جمعه الخلفاء العباسيين خلال خمسة قرن ، وقاموا بإشعال النار في جامع الخليفة، وقبور الخلفاء؛ حتى تمكنوا من قتل الخليفة نفسه"(١١)، وبعد أن نودى بالأمان خرج كل واحد من مخبئه؛ فأصبح الولد لا يعرف والده، ولا يعرف الأخ أخاه، ولا أي فرد يعرف ذويه(١٢)، ولم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوات، وأحرق معظم البلد، وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد، وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلول، وسقطت عليهم الأمطار ووطئتهم الخيول، فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى(١٣)، وهاجموا دار الخلافة، وقتلوا كل من

كانوا فيها من الأشراف، ولم يسلم إلا من كان صغيرًا فأخذ أسيرًا ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوما ثم نودى بالأمان(١٤).

وصار كذلك: تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم، حتى بقيت الرعية بلا راع، ثم دخلت – حينئذ – التتار بغداد، وبذلوا السيف، واستمر القتل والسبي، نيفا وثلاثين يوما. فقل من نجا، فيقال إن هولاكو أمر بعد القتلى، فبلغوا ألف ألف وثمان مائة ألف وكسر، فعند ذلك نودى بالأمان (١٥).

سرديات الهلع والرعب الحاصل من غزو المغول لبغداد:

أرَّخت السرديات التاريخية لحالة الهلع والرعب والخوف الناجمة عن سقوط بغداد والممارسات الدموية التي قام بها المغول على أنقاض حاضرة الخلافة، وكانت النصوص واضحة مباشرة في نقل حالة الهلع المذكورة، فنجد على سبيل المثال، أنه بعد سقوط بغداد ومقتل الخليفة العباسي أصبح المسلمون في وضع غير طبيعي لاعتمادهم الروحي علي وجود الخلافة الإسلامية منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم(١٦)، وقد روى عن الخليفة أنه كان يرتعد من الخوف(١٧)، واستناداً على سرديات أخرى فقد ارتاع الخليفة أشد ارتياع، وأخذت أسبابه في الانقطاع، وأصبح لا يدري، وإن كان حازما أقدامه خير له أم وراءه، وأغلقت أبواب مدينة بغداد، فأحاط بها التتار وضايقوها بالحصار، فافتتحوها عنوة، ودخلوها غدوة في العشرين من محرم هذه السنة، فبذلوا في أهلها المناصل، وأوردوهم من حياض الموت أمر المناهل، وأكثروا الأيامي واليتامى والأرامل، ولم يرحموا شيخا كبيرا، ولا طفلا صغيرا(١٨).

ويصور ابن الفوطي مشاهد أخرى تعبر عن حالة الهلع والخوف المذكورة، حيث نودى بالأمان فخرج من تخلف، وقد تغيرت ألوانهم، وذهلت عقولهم لما

شاهدوا من الأهوال التي لا يعبر عنها بلسان، وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد [١٩].

كما قدم ابن كثير مشاهد أكثر وضوحاً تعبر عن حالة الخوف والرعب الناجم عن الغزو المغولي، وحسب تلك السرديات فقد عادت بغداد بعدما كانت أنس المدن كلها، كأنها خراب ليس فيها الا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة[٢٠]، ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر كأنهم الموتى، إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضا، فلا يعرف الوالد ولده، ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفي الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى[٢١].

سرديات إهانة الخليفة وقتله:

عكست العديد من النصوص المرحلة الأكثر حزناً في تلك الفاجعة وهى قتل الخليفة العباسي بدم بارد، ووقف الباحث على العديد من الاقتباسات على هذا الأمر منها: وأحضر الخليفة بين يدى هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت[٢٢].

من هذه السرديات أيضاً ما رويت بشأن الخليفة أنه قد بلغ من دهشته أنه لم يعد يعرف مكان مفاتيح الخزائن، فأمر بكسر عدة أقفال، وأحضر لهولاكو ألفي ثوب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وعددا من الجواهر، فلم يلتفت هولاكو خان إليها ومنحها كلها للأمراء والحاضرين ثم قال للخليفة:" إن الأموال التي تملكها على وجه الأرض ظاهرة، وهي ملك عبيدنا لكن اذكر ما تملكه من الدفائن. ما هي وأين توجد" فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا الأرض حتى وجدوه، كان مليئا بالذهب الأحمر، وكان كله سبائك تزن الواحدة مائة

مثقال، بعد ذلك صدر الأمر بإحصاء نساء الخليفة فعادوا بسبعمائة زوجة وسرية وألف خادمة. فلما اطلع الخليفة على تعداد نسائه، تضرع وقال: "من على بأهل حرمي اللاتي لم تطلع عليهن الشمس والقمر"

فقال له هولاكو: "اختر مائة من هذه النساء السبعمائة، واترك الباقي"، فأخرج الخليفة معه مائة امرأة من أقاربه والمحببات إليه. ثم رجع هولاكو خان إلى المعسكر ليلا وفي الصباح أمر بأن يسير سونجان إلى المدينة، وأن يجرد أموال الخليفة، ويخرجها، وقصارى القول أن كل ما كان الخلفاء قد جمعوه خلال خمسة قرون وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل(٢٣).

يستمر الهمداني في نقل نصوص ذات دلالات هامة وقيمة وفقاً لهذه النصوص فقد يئس الخليفة من إنقاذ حياته، واستأذن في أن يذهب إلى الحمام ليجدد اغتساله. فأمر هولاكو خان بأن يذهب مع خمسة من المغول. ولكن الخليفة قال: أنا لا أريد أن أذهب بصحبة خمسة من الزبانية»، وكان ينشد بيتين أو ثلاثة من قصيدة هذا مطلعها:

وأصبحنا لنا دارٌ كجناتٍ وفردوس وأمسينا بلا دارٍ كأنْ لم تَغْنَ بالأمسِ

وفي مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م قضوا على الخليفة وعلى ابنه الأكبر، وخمسة من الخدم كانوا في خدمته في قرية (وقف). وفي اليوم التالي قتلوا الذين كانوا قد نزلوا معه في بوابة كلواذى. كذلك قضوا على كل شخص وجدوه حيا من العباسيين اللهم إلا أفرادا قلائل لم يأبهوا بهم. وقد سلم مباركشاه الابن الأصغر للخليفة إلى (أولجاى خاتون)، فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين، ثم زوجوه من امرأة مغولية، فأنجب منها ولدين(٢٤).

ويسرد أبو الفدا نصا آخر يفيد بالتالي: أما الخليفة فإنهم قتلوه، ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله، فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات، وقيل

غرق في دجلة والله أعلم بحقيقة ذلك. وكان هذا المستعصم وهو عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبي جعفر منصور بن محمد الطاهر بن الإمام الناصر أحمد[٢٥].

وحسب سرديات أخرى ساقها العينى: أن التتار قتلوه مظلوما شهيدا، وقتل معه ولده وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه، وشغر منصب الخلافة بعده، ولم يبق في بني العباس من سد مسده، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكمين بالعدل بين الناس، ومن يرتجي منهم النوال، ويخشي منهم البأس، وختموا بعبد الله المستعصم، كما افتتحوا بعبدالله السفاح[٢٦].

وحسب نص آخر: وقتل الخليفة رفساً، وما أظنه دفن – النص لابن كثير، وقتل جماعة من أولاده، وأعمامه، وأسر بعضهم، وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها، ولم يتم الوزير ما أراد، وذاق من التتار الذل والهوان، ولم تطل أيامه بعد ذلك، وعملت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها، وتمثل يقول سبط التعاويذي:

بادت بأهلوها معاً فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وقال بعضهم:

يا عصبة الإسلام نوحي واندبي حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزارة كان قبلُ لابن الفرات فصار لابن العلقمي[٢٧]

وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر، وعفي قبره، وكان عمره يومئذ ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو عباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن، وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث فاطمة، وخديجة، ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر، فيما قبل، والله أعلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٢٨].

ثم ابتلاء الله بعد بالتتار أتباع جنكز الخان الجبار

صحبه ابن ابن له هلاكو فلم يكن من أسره فكاك
فمزقوا جنوده وشمله وقتلوه نفسه وأهله
ودمروا بغداد والبلادا وقتلوا الأجناد والأولادا
وانتهبوا المال مع الحريم ولم يخافوا سطوة العظيم
وغرهم أنظاره وحلمه وما اقتضاه عدله وحكمه [٢٩]

سرديات النزوح من الوطن:

رافق الغزو المغولي لحاضرة الخلافة العباسية حركات نزوح وهجرة جماعية شأن أي غزو، وقد سردت النصوص بعض تفاصيل هذا النزوح وتحديداً ما نقله ابن الفوطى بقوله: وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم، وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس العلوى إلى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم، وعين لهم شحنة فعادوا إلى بلادهم، وأرسلوا إلى من في البطائح من الناس يعرفون ذلك، فحضروا بأهلهم وأموالهم وجمعوا مالاً عظيمًا وحملوه إلى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم، وأما واسط فإن الأمير بغاتمر انحدر عليها بعساكره وانتهى فيها إلى قريب البصرة، فقتل ونهب وسبي، وكان الولاة والنقباء وأكابر الناس قد انحدروا بأهلهم وأموالهم إلى البصرة والبطائح فسلموا، قيل إن عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة ألف سنة[٣٠].

سرديات الخيانة:

تكاد تتفق معظم السرديات التاريخية على وجود خيانة كان بطلها الوزير "ابن العلقمي"[٣١] وهو ما نجده بشكل مباشر وواضح مثلاً لدى السيوطي الذي فسر

سقوط بغداد لسبب واحد ووحيد: بفضل فساد ابن العلقمي الإداري وخيانته وموالاته للمغول(٣٢).

وحسب تلك السرديات أن هذا الوزير خان الخليفة وخان وطنه نتيجة رواسب نفسية قديمة وتفصيل هذه الرواسب أن في سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وقع صدام كبير بين السنة والشيعة في بغداد فلقد استجاش عوام السنة وتوجهوا إلى دور أعيان الشيعة في الكرخ ناهبين إياها، ولقد كان لهذا الحدث أثره النفسي الكبير على أحد كبار رجال الدولة آنذاك، وهو الوزير مؤيد الدين بن العلقمي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ذلك الأثر الذي أثر على انتمائه فكاتب المغول مسهلاً لهم أمر دخول بغداد والتي سقطت بسهولة أمامهم سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)(٣٣).

ورغم يقين الباحث بأن الغزو المغولى لبغداد كان محطة حتمية في خط السير المغولى المخطط إلا أن هذه السرديات أعطت دور الطولة في هذه الأحداث لابن العلقمي، وكيفما كان الأمر فقد نقلت هذه السرديات دلالات سابقة على ما قام به ابن العلقمي، فقد كتب إلى وزير اربل يطلعه على ما في نفسه قائلاً "أنه قد نهب الكرخ المكرم وقد ديس البساط النبوي المعظم، وقد نهبت الفترة العلوية واستؤسرت العصابة الهاشمية...، وقد عزموا على نهب الحلة والنيل، بل سولت لهم أنفسهم أمراً فصبر جميل(٣٤).

كما ذكرت نصوص أخرى أدوار تخريبية أكثر خطورة من شأنها تمهيد الأرض للغزو قام بها ابن العلقمي حسب تلك السرديات منها: أن الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة كان يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب للتتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء

والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة، وجعله حوشكاشا للتتار بعدما كان وزيرًا للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء(٣٥).

ووفقا لابن كثير فقد أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يُريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دواداره أيبك وغيره ، وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليهم من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير ، فأرسل شيئا من الهدايا ، فاحتقره هلاون، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دواداره المذكور وسليمان شاه ، فلم يبعثهما إليه ، ولم يبالي به حتى أزف قدومه ، ووصل إلى بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة ، فجرى ما جرى (٣٦).

كما أورد أبو الفدا نصا طويلا في هذا الإطار فحسبما أورد : في أول هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد، وملكها في العشرين من المحرم ، وقتل الخليفة المستعصم بالله ، وسبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضا وكان أهل الكرخ أيضا روافض ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة بغداد على جاري عادتهم، فأمر أبو بكر بن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي ، وكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد، وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل إلى النتر متحصل إقطاعاتهم ، وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس، وأرسل ابن العلقمي إلى التتر أخاه يستدعيهم ، فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمه ركن الدين الدوادار، والتقوا على مرحلتين من بغداد، واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم عسكر الخليفة، ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم إلى جهة الشام، ونزل هولاكو على بغدد من الجانب الشرقي، ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربي على قرية قبالة دار الخلافة ، وخرج

مؤيد الدين الوزير ابن العلقمي إلى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال إن هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر، وحسن له الخروج إلى هولاكو، فخرج إليهم المستعصم في جمع من أكابر أصحابه، فأنزل في خيمة ، ثم استدعى الوزير الفقهاء والأماثل، فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون ، وكان منهم محي الدين بن الجوزى وأولاده، وكذلك بقى يخرج إلى التتر طائفة بعد طائفة، فلما تكاملوا قتلهم عن آخرهم، ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه ، وبذلوا السيف في بغداد(٣٧).

حتى في مرحلة ما بعد الغزو والفاجعة لم ينج أحد إلا من لجأ لبيت ابن العلقمى وهو ما رصده ابن الفوطى بقوله: وكذلك دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فإنه سلم بها خلق كثير، ودار صاحب الديوان ابن الدماغاني. ودار حاجب الباب ابن الدوامى، وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوات (٣٨) .

وعن مرحلة ما بعد الغزو فقد نقل ابن كثير ما هو مفاده : قتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيى الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة عبد الله ، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحد بعد واحد منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين يبك ، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة ، وأكابر البلد ، وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه، فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاه ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه ، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين على بن التيار ، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجامعات والجمعات مدة شهور بغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه، أن يعطل المساجد والمدارس الربط ببغداد ، ويستمر بالمشاهد، ومحال الرفض وأن يبنى للرافضة مدرسة (٣٩) .

أما عن مكافأة العناصر الأخرى المتورطة في الخيانة كما ذكرت السرديات التاريخية فقد انتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك ، فقتلوه رفسا ، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، وقيل : بل خنقا ، ويقال : بل أغرق ، فالله أعلم ، فباءوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء، وأولى الحل والعقد ببلاده ... ، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش ، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار ، إما بالكسر ، وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكذلك في المساجد والجوامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة اليهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانًا بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم(٤٠).

ويستمر ابن كثير في طرحه للفاجعة ودور ابن العلقمى فيها : وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله ، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي ؛ وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ، ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة

بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة ، على أن يكون نصف خراج العراق لهم ، ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة، والفقهاء ، والصوفية ، ورؤوس الأمراء ، والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم(٤١).

وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من همذان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ؛ ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم ، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره ، وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير ، فأرسل شيئا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا شغل بالاً به ، حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر ، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش بغداد في غاية القلة ، ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وهم بقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي(٤٢).

وحسب نصوص أخرى لابن كثير وضح فيها حنقه الشديد على ابن العلقمى وتألمه مما قام به فقال بشأنه: أن الوزير ابن العلقمى قبحه الله ولعنه أراد أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد إلى آخر الممارسات المتطرفة التي حاول القيام بها ... فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه، وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعا والله أعلم، بالدرك الأسفل من النار. ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات، كأنها

التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون[٤٣].

كما اتفقت سرديات أخرى على دور ابن العلقمى في الخيانة بقولها : أن الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى أشار على الخليفة بمصاهرة ملك المغول ، وقال للخليفة أنه يريد تزويج ابنته من ابنك أبى بكر ، ويبقيك في منصب الخلافة ، كما أبقى سلطان الروم في سلطنه الروم ، ولا يؤثر أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، وأن ينصرف بعساكره عنك ، ولكن الخليفة رفض ، وانقضت سيوف المغول على بغداد ، وقتل كل من ظهر ، ولم يسلم إلا من اختفي ، وقتل كل من كان في دار الخلافة من الأشراف، ولم يسلم إلا من استطاع الهرب؛ أو كان صغيراً حيث تم أخذه أسير، واستمر القتل ، والنهب أربعين يوماً، ثم نودى بالأمان؛ فظهر من كان قد اختفي، وتم قتل من خرجوا إلى هولاكو من القضاة، والأكابر، والمدرسين، وممن قتل محي الدين بن الجوزي، وأولاده ، وهم جمال الدين مدرس المدرسة المستنصرية ، وتاج الدين، وشرف الدين، أما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد، ومات بعد مدة يسيرة، ولقاء ربه بما فعله[٤٤].

كما انتقلت صورة هذه الخيانة إلى النصوص الأدبية على النحو التالي: فقد قال آخر في إرسال ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم أخاه إلى التتار ليأتي بهم:

وأتى الخائن الخبيث بمغل طبق الأرض بغيهم تطبيقا
هكذا ينصر الجهول أخاه ومن البر ما يكون عقوقا[٤٥]

ولم تتوان السرديات التاريخية عن ذكر النهاية الحتمية للخيانة كما ارتأتها هذه النصوص ، وفي الواقع فقد اختلفت الروايات التاريخية حول كيفية وفاته فمنهم من قال بأنه قتل على يد هولاكو دون ذكر الأسباب الذين أوردوا نصوصاً مغايرة ذكروا فيها أن ابن العلقمي لاقى من الذل والهوان على أيدي المغول في أواخر عهده أدت إلى موته وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ويبدو أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى الصحة، ذلك لأن ابن العلقمي رأى ما حل بأهله وبلاده من ويلات بسبب القتل والتنكيل والتدمير فأثر ذلك فيه كمدا وضيقا حتى مات(٤٦).

مرثيات الفاجعة:

لم تتوقف السرديات التاريخية وكذا النصوص الأدبية عن رثاء بغداد وعن ذكر مرثيات الفاجعة التي ألمت بالعالم الإسلامي، وآية هذا فقد أرخ المؤرخون للعام التالي لغزو بغداد سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م بما نصه "استهلت هذه السنة ، وليس للمسلمين خليفة، والفتن قائمة ، وبنو جنكيز قد أظهروا الفساد، وأهلكوا العباد، وأخربوا البلاد"(٤٧).

كما عبرت آخر خطبة خطبت بغداد عن حالة الرثاء هذه حيث قال الخطيب في أولها: الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار، هذا والسيف قائم بها. ولتقى الدين بن أبي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد، وهي هذه:

لسائل الدمع من بغداد أخبار ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا ... فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شَرُفَتْ ... به المعالم قد عَفَّاه إقفار
أضحى لعصف البلى في ربعه أثر ... وللدموع على الآثار آثار
يا نار قلبي من نار لحرب وغى ... شبَّتْ عليه ووافَى الرَّبعَ إعصار
علا الصليب على أعلى منابرها ... وقام بالأمر من يحويه زنار
وكم حريم سبته الترك غاصبةً؟ ... وكان من دون ذاك الستر أستار
وكم بدور على البدرية انخسفت؟ ... ولم يعد لبدور منه إبدار
وكم ذخائر أضحت وهي شائعة؟ ... من النهاب وقد حازته كفار
وكم حدود أقيمت من سيوفهم؟ ... على الرقاب وحُطَّتْ فيه أوزار
ناديت والسبيُ مهتوكٌ يجرُّهم ... إلى السفاح من الأعداء دعَّار[٤٨]

=

أقامت على أسوار بغداد برهة ... تعض بها عض الثقاف على الكعب
فضاق عليها بالحصار خناقها ... وغصَّت بكرب يا له لله من كرب
فلما رأى المستعصم الخرق واسعا ... أن ليس للداء الذي حل من طب
مشى كارها والموتُ يعجل خطوة ... يؤم لفيفا من بنين ومن صحب
وراح بعقد الصلح يجمع شمله ... كما راح بين النون يجمع والضب
فأمسكه رهنا وقتل صحبه ... هلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
وأعرى ببغداد الجنود كما غدا ... بأدماء يغري كلبة صاحب الكلب
فظلت بهم بغداد ثكلَى مُرنة ... تفجع بين القتل والسبي والنهب
وجاسوا خلال الدور ينتهبونها ... وصبوا عليها بطشهم أيَّما صب
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا ... مهتكة أستاره خالف السرب
وبانت به من واكف الدمع بالبكا ... عيون المها شتراء منزوعة الهدب
وراحت سبايا للمغول عقائل ... من اللام لم تمدد لهن يد الثلب

لقد شربوا بالهون أوشال عزها وما أسأرُوا شيئاً لعمرك في القعب
فقُلِّص ظل كان في الملك وارفاً وأمحل ملك كان مغلولب العشب
لقد بات إذ ذاك الخليفةُ جاثماً على الخسف مرقونا بربعة غلب
وخارت قواه بالشعار لمنعه ثلاثة أيام من الأكل والشرب
فقال وقد نقَّت ضفادع بطنه ألا كسرة يا قوم أشفي بها سغبي
فقال هلاكو عاجلوه بقصعةٍ من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب
وقولُوا لَهُ كل ما بدا لك إنّها لآلي لم تعبث بهن يد الثقب
ألستَ لهذا اليوم كنتَ ادَّخرتَها فدونك فانظر هل تنوب عن الحب
وكنتَ بها دون المماليك مُعجَباً وفاتك أن المقت من ثمر العجب
ولو كنت في عز البلاد أهنتَها وأنزلت منها الجد في منزلٍ خصب
لما أكلتْك اليوم حربى وإن غدت تذيب لظاها عنصر الحجر الصلب
سأبذلها دون الجنود أزيدهم صيالاً بها فوق المطهَّمة القب
وسوف -وإن لم يبق إلا حديثا- تميز ملوك الأرض دأبك من دأبي
هنالك والطوسيّ أفتي بقتله قروه بقتل أدب أفجع الأدب
أشار هولاكو نحو علجٍ فتلَّه فخرَّ صريعا لليدين وللجنب
فأُدرج في لبدٍ ودِيس بأرجل إلى أن قضى بالرفس ثمةَ والضرب
وقد أُثخنت بغداد من بعد قتله جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح وإنما ببغداد منها اليومَ ندب على ندب

مما سبق نجد أن السرديات التاريخية كانت على قدر الحدث الجلل، عكست هذه السرديات المأساة والفاجعة الكبرى تلك الفاجعة التي تجسدت في سقوط حاضرة الخلافة العباسية فرصدت ممارسات القتل والحصار والأسى والهلع، كما عكست إهانة الخليفة وقتله، كما عكست بأس وألم النزوح من الوطن وصولاً لأبرز ما عكسته من مرثيات الفاجعة.

هوامش البحث:

(١)فؤاد عبدالمعطى الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٧٩.

(٢)من المحاولات الهامة والسابقة على هذه الدراسة الإصدار الخاص للهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة بعنوان "أوراق بغداد" والذى جمع العديد من النصوص التاريخية الخاصة ببغداد وما لحق بها من دمار وتخريب على يد المغول وهو عبارة عن نصوص نثرية ووصفية فضلاً عن الأشعار التي قيلت في العراق وقد اعتمد الباحث عليها بشكل أساسي في سياق دراسته بالإضافة للرجوع للمصادر الأصلية. انظر: عبدالحكيم راضي وآخرون اختيار وتحرير: أوراق بغداد، عدد خاص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٣)العينى: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ج١ ، ص١٦٧.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢١٢-٢١٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م ، جـ١٠، ص٤٠٠؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تصحيح الأب أنطون صالحانى اليسوعى، دار الرائد اللبناني، ١٩٩٤م، ص٤٣٧-٤٣٨-٤٤٦ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى٢٠٠٤، جـ٣٣، ص٣٨٠-٣٨٣؛ أحمد عبدالكريم سلمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (٦٤٨هـ-٦٧٦هـ/ ١٢٥٠م-١٢٧٧م) ، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م، ص١٣-١٥؛ ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، الهيئة العامة بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ٢٠١١م ، ص١٩٦، ١٩٧؛ لاميس إبراهيم طاش: الرحلة العلمية للمشارقة إلى مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١٦، ص١٧٣.

(٥) الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ المغول)، جامع التواريخ "تاريخ المغول"،مج٢،ج١،راجعه يحي الخشاب، د.ط، دار أحياء الكتب العربية، مصر، د.ت ، مج٢،ج١،ص٢٦٨ .

(٦) البداية والنهاية، جـ ١٥، ٣١٢ -٣١٦ .

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م ، ج١٧، ص٣٥٦.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٧، ص٣٦١.

(٩) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص٧٤٨.

(١٠) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٧٤٠ -٧٤١.

(١١) أجمعت المصادر العربية على أنه لم يطلع أحداً على مقتل الخليفة العباسى المستعصم، وكيفية قتله فقيل أنه خنق، وقيل أنه وضع في عدل، ورفس حتى مات تجنباً لسفك دمه، وقيل أنه غرق في نهر دجلة. المزيد انظر: المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: د/محمد مصطفي زيادة، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦، جـ١، ق٢، ص٤٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى، جـ٧، ص٥٠، ٥١.

(١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٠٤؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٣٦.

(١٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٦.

(١٤) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ت، د. ت، ج٣، ص١٩٤.

(٤) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج٣. ص٢٧٨ .

(١٦) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ م٢، جـ١، ص٢٩٤-٢٩٥.

(١٧) الهمداني: جامع التواريخ ، م٢، ج١، ص٢٩٣.

(١٨) العينى: عقد الجمان، ج١، ص١٧٠ .

(١٩) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٦.

(٢٠) ان كثير: البداية والنهاية، ج١٧ ، ص٣٦٠.

(٢١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦٢.

ومن الجدير بالذكر فقد انتقلت حالة الخوف للقوى السياسية المجاورة مثل دولة المماليك الناشئة والمضطربة في تلك الأوقات نتيجة قتل شجر الدر وعز الدين أيبك واقتراب المغول من القاهرة، وهنا تعطينا بعض النصوص التاريخية دلالات عن حالة الخوف هذه حيث قال قطز: "والحالة هذه، فإن كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع، وأضحت البلاد من بغداد

حتى الروم خرابا يبابا، وقضى على الجميع ما فيها من حرث ونسل فقلت من الأزواج والأبقار والبذور، فلو أننا تقدمنا لقتالهم، وقمنا بمقاومتهم فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها البلاد. وينبغي أن نختار الجماعة التي تريد بلادنا واحدا من ثلاثة: الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن، أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مفرا إلا المغرب، وبيننا وبينه مسافات بعيدة"، فأجاب ناصر الدين قيمري: "وليس هناك مصلحة أيضا في مصالحتهم إذ أنه لا يوثق بعهودهم، وقال أيضا بقية الأمراء: "ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم قمر بما يقتضيه رأيك، عندئذ قال قطر: إن الرأي عندي هو أن نتوجه جميعا إلى القتال. فإذا ظفرنا فهو المراد، وإلا فلن نكون ملومين أمام الخلق". انظر: الهمداني: جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص٣١١: ص٣١٣.

([٢٢]) البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٥٨.

([٢٣]) الهمداني: جامع التواريخ ، مج٢ ، ج١ ، ٢٩٢ والتي تليها.

([٢٤]) الهمداني: جامع التواريخ ، مج٢ ، ج١ ، ص ٢٩٣ والتي تليها.

([٢٥]) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٩٤.

([٢٦]) العينى: عقد الجمان، ج١، ص٢٠٦.

[٢٧] السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٧٤٨.

[٢٨] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦١.

[٢٩] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٧٣؛عبدالحكيم راضي وآخرون: أوراق بغداد، ص٢٦٨ وما بعدها.

[٣٠] ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٣٧.

[٣١] هو الوزير ابن العلقمي محمد بن أحمد بن محمد مؤيد الدين أبو طالب بن العلقمي البغدادي، خدم أيام الخليفة المستنصر استاذ دار الخلافة مدة طويلة، ثم استوزره المستعصم، وكان من الفضلاء والأدباء ولكنه كان شيعياً، ولقد حصل من التعظيم، والوجاهة في أيام المستعصم مالم يحصل لكثير من قبله من الوزراء، ويبدو أن وضعه قد ساء جداً أيام المغول حتى عومل بإهانة منهم ومات سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ويقال إنه مات عمداً وله من العمر ثلاثة وستون عاماً. انظر ابن كثير: البداية والنهاية ؛ ج١٧، ص٣٧٩ والتي تليها.

[٣٢] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧٤٠ –٧٤١.

(٣٣) انظر: ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية ١٩٦٩م، ج٢، ص٢٧٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص١٩٠ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص ٣٤٨، ص٣٧٩ والتي تليها؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٧ والتي تليها؛ العيني: عقد الجمان، ج١، ص١٧٠ والتي تليها.

(٣٤) انظر ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٧٩.

(٣٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٧، ص٣٦٠.

(٣٦) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٧ ، ص٣٥٧ ؛ العينى: عقد الجمان ، ج١ ، ص ١٧١ والتي تليها.

(٣٧) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ، ج٣، ص ١٩٤.

(٣٨) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص ٢٣٦.

(٣٩) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٧ ، ص ٣٦١ التي تليها.

(٤٠) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٧ ، ص ٣٥٩.

(٤١) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٧ ، ص ٣٥٨.

(٤٢) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٧ ، ص ٣٥٧.

(٤٣) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٧ ، ص ٣٦٢.

(٤٤) ابن واصل: مفرج الكروب ، ص٢١٢ – ٢١٦ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٣م ، جـ١٠، ص٤٠٠ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص٤٣٧-٤٣٨-٤٤٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ٣٣ ، ص٣٨٠ – ٣٨٣ ؛ أحمد عبدالكريم سلمان: المغول والمماليك، ص١٣-١٥ ؛ ستانلي لين بول : سيرة القاهرة ، ص١٩٦ ، ١٩٧ ؛ لاميس إبراهيم طاش : الرحلة العلمية للمشارقة إلى مصر في العصر المملوكي ، ص١٧٣ .

(٤٥) عبد الحكيم راضي وآخرون: أوراق بغداد ، ص ٣٩٢.

(٤٦) شيرين السبعاوى: دور الوزراء في الصراعات السياسية الداخلية على السلطة في دولة المغول الإيلخانيين، كلية الآداب، جامعة الموصل ، ٢٠١٢ ، ص ٤٤ .

(٤٧) العيني: عقد الجمان ، ج١ ، ص ٢١٧.

(٤٨) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص ٧٤٨ وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- **ابن الأثير "أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م):** الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

- **ابن تغري بردي " جمال الدين أبي المحاسن يوسف " ت (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م):** النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى.

الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

السيوطي " جلال الدين " ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

- **أبو شامة "عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان" ت(٦٦٥هـ/١٢٦٦م):** تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **ابن العبري " أبي الفرج جمال الدين " ت (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م):** تاريخ مختصر الدول، تصحيح الأب أنطون صالحانى اليسوعى، دار الرائد اللبنانى، ١٩٩٤م.

- **العيني: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م:** عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

- **أبو الفدا " عماد الدين إسماعيل " ت (٧٣٢هـ/١٣٣١ م):** المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

- **ابن الفوطي " كمال الدين أبي الفضل عبدالرازق" ت (٧٢٣هـ/١٣٢٣م):** الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

- **ابن كثير " عماد الدين أبي الفداء إسماعيل" ت (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م):** البداية والنهاية، تحقيق: د/ عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- **المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي" ت (٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م):** السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: د/ محمد مصطفي زيادة، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦.

- **النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري) ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م:** نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٤

- **الهمذاني: رشيد الدين فضل الله" ت (٧١٨هـ / ١٣١٨م):** جامع التواريخ (تاريخ المغول)، جامع التواريخ "تاريخ المغول"، مج٢،ج١،راجعه يحي الخشاب، د.ط، دار أحياء الكتب العربية، مصر، د,ت .

- **ابن واصل " جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م):** مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت ، ٢٠٠٤م .

- **ابن الوردي" زين الدين عمر بن مظفر" ت (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م):** تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

المراجع العربية:

- **أحمد عبدالكريم سلمان:** المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (٦٤٨هـ-٦٧٦هـ/١٢٥٠م-١٢٧٧م)، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.
- **فؤاد عبدالمعطى الصياد:** المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.
- **عبد الحكيم راضي وآخرون " اختيار وتحرير** ": أوراق بغداد، عدد خاص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

المراجع المترجمة:

ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، الهيئة العامة بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.

الرسائل العلمية:

- **شيرين السبعاوى:** دور الوزراء في الصراعات السياسية الداخلية على السلطة في دولة المغول الإيلخانيين، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٢.
- **لاميس إبراهيم طاش:** الرحلة العلمية للمشارقة إلى مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١٦.